إضاءة

ثمّة ذريعتان يتمّ الدّفع بهما كلّما أُثيرت مسألة العزوف عن القراءة: غلاء الكتب وضيق الوقت. أمّا غلاء الكتب، فمردودٌ عليه، إذ بإمكان المرء أن يغوص من سطح شاشته الذكية إلى أعماق آلاف الكتب. وأمّا ضيق الوقت فذريعةٌ، لعَمْري، مُضحكة

سعد سرحان

مَنْ لم يستطِعْها بالعين، فالأذن تكفي أحياناً

القراءة والنّزعات المادّية

من حُسن حظّ البشريّة أنّ القراءة ليست حكرًا على طبقة اجتماعيّة دون سواها، ولا على مرحلة عُمريّة دون أخرى، فهي مطلوبة من الكلّ ومُتاحة للجلّ. ومَنْ لَمْ يَستطِعْها بالعين، فالأذن قد تقرأ أحيانًا، ذلك أنّ الكتابة لا تَجْبُ الشّفاهة. لقرون خَلت، كانت الأذنُ نافذةَ الإنسان على ساحة المعرفة، والذاكرةُ مستودعَه الأمين. وإلى تَبْنِك يعود الفضل في وصول نفائس السّلَف إلى خَزائن الخَلَف.

وحتى مع ظهور الكتابة وازدهارها، لم تفقد الشفاهة سحرها. فمن الإرث الإغريقي الطائل، يبرز المُعلّم الأكبر الذي لم يكتب قطّ، فقد كان تلامذته يأخذون عنه بمسامعهم. ومع أنّه لم يسفح نطفةَ حبر في حياته، فقد تخلّد أبًا لنسلٍ من الأفذاذ. باللّسان علّم سقراط، لا بالقلم. لذلك، حين قصّت أثينا بإعدامه، اصطفت السُّمّ دون غيره، فكان كأس الشّوكران قصاصًا للشّفتين منه واللّسان.

تاريخ الأدب العربي يُسعفنا، في كلّ مدّة وكل صقع، بالأمثلة من كلّ نوع. ففي تلك الجاهليّة التي تُذكّر على الفور بالشّفاهة، كان يهيمُ في كلّ وادٍ الملكُ والصّعلوك، العبدُ والسيّد، ابنُ الوبر وابن المدر، ومَن سئم تكاليف الحياة ومَن لم يعش منها سوى ما سمحت به المكيدة وظُلم ذوي القربى... ولعلّ أشهر هؤلاء هو الشيخ ابن سينا، الذي رحل عن نَيْفٍ وخمسينَ حَوْلًا، تاركًا للعالم إرثًا من نحو مائتَي كتاب في أكثر من باب، أحدها «القانون في الطبّ». ظلّ المرجع الأساس في الغرب لمدّة سبعة قرون. ولنا أن نتخيّل كم مكتبةً قرأ هذا الذي ألّف وحده مكتبة.

مولييرُ، الذي تُعرف الفرنسية باسمه، وشكسبير الذي تقترن به الإنكليزية، والمتنبّي، الذي لولا القرآن، لَنُسبت إليه العربية، كلّهم رحلوا عن خمسين عامًا أو يزيد قليلًا.

وإنّه لَمن المُحيِّر أيضًا أن يُعمِّر الواحد منهم فتبدو حياتُه قصيرةً جدًّا. فالجاحظ، على سبيل التّبجيل، وهو سيّد النثر العربي في كلّ العصور، عاش أكثر من تسعين عامًا ألّف خلالها من الكتب ما يحتاج في تأليفه إلى عشر حيوات، واحدة لامتلاك ذلك الأسلوب الفريد وتلك الثقافة الموسوعيّة، وأخرى لمخالطة العامّة من بُخلاء وعُرجان وبُرصان وسودان وبيضان، وثالثة لمراقبة الحيوان وتدوين أدقّ التفاصيل عنه، ورابعة لرصد المحاسن والأضداد والأخلاق... وعاشرة، طبعًا، لتحرير ذلك العدد الهائل من الكتب الذي جاء بعضُها في أجزاء كثيرة.

وبالقفز إلى زمان النّاس هذا، نَجِد أنّه قبل عقود قليلة فقط، كان الصّبيّ يلتحق بالكتّاب فيأخذ اللّوحَ بقوّة، فإذا غادره، فإلى المدرسة ليأخذ بالقوّة مرّة أخرى ذلك الكتاب الجليل الذي يحمل غلافه أمرًا إلهيًا: إقْرأ. فلا عجب أن تكون المدرسة، من الباب إلى المحراب، تتلخّص في القراءة. فحتى الآن ما زال الواحد من ذلك الجيل يسأل ابنه بعد العودة من المدرسة ماذا قرأ اليوم، ويسأل زميله في العمل أين يقرأ أبناؤه. أمّا الأولاد، فكم يفرحون ليلة العطلة لأنّهم غدًا سيرتاحون من القراءة.

القراءة، إذًا، هي الهدف. أمّا الكتابة فذريعتها فحسب. لذلك، كانت المدارس، حتى عهد قريب، تضيق عن نفسها فيرحب بها كلّ مكان، إذ كان النّاس، من مختلف الأعمار والطّبقات الاجتماعية، يقرأون الكتب والجرائد والمجلّات في المقاهي والخزانات العامّة والحدائق والقطارات... وكان شائعًا اقتراض الكتب وقرضها، ولفرط القرّاء، كان باعة الكتب المستعملة أعلامًا في مدنهم، بما يوفّرون من ضالّة لكلّ باحث.

لقد كانت القراءة الهدف الأسمى للدراسة والعنوان الأبرز لها. ولعلّه من باب الامتنان بات الواحدُ من أبناء ذلك الجيل يكتب الكتاب ويسمّيه قراءةً. فكم على رفوف المكتبات الآن من «قراءات نقدية»، لأسباب يعلمها الجميع، تراجعت المدرسة، هنا والآن، بشكل مخيف، وتراجعت معها القراءة، لا كدراسةٍ فحسب، بل كشغفٍ أيضًا. فصار ما صار ممّا نسمعه عن تدنّي مبيعات الكتب والمجلّات والجرائد، وما يُنشر عن معدّل القراءة المخجل، فيما باتت أرقام المشاهدات تفضح تحوُّلنا من مجتمع قارئ إلى مجتمع متفرّج. وشتّان ما بين سطح الشاشة وعمق الكتاب. ثمة ذريعتان يتمّ الدّفع بهما كلّما أُثيرت مسألة العزوف عن القراءة: غلاء الكتب وضيق الوقت. أمّا غلاء الكتب، فمردودٌ عليه، إذ بإمكان المرء أن يغوص من سطح شاشته الذكية إلى أعماق آلاف الكتب، ويُحمّل ما شاء منها بمجرّد فتح هذا الرابط أو ذاك. وقد كنّا سمعنا بالمفلس الذي سام التي هزلت، لكنّنا لم نسمع بعد بالمفلس الذي لا يستطيع حتى ما هو مجّاني.

(شاعر وكاتب من المغرب)

«فتاة تقرأ» لـ علمان حمدي بك، زيت على قماش، 1880

من حُسن حظّ البشريّة أنّ القراءة ليست حكرًا على طبقة

لا عجب أن تتلخّص المدرسة، من بابها لمحرابها، في القراءة

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

يومٌ للكتاب

شهد يوم 23 نيسان/ ابريل من عام 1616 الخُصاب الاعظم ربما في تاريخ الادب: رحيل شكسبير ودفنه ثرفانتس، فشيّع العالم، في نفس الوقت، جبليْ من ضوء الى تضاريس الخلود. لذلك، على الارجح، اقرّته «اليونسكو»، منذ 1995، يوما عالميًا للكتاب. وهذا النصّ انّما هو تذكيرٌ بالكتاب، في انتظار ابراره في رُزنامة العربيّة، كما يليق بلغة لا تُنسب، كما بعض اللّغات، الى هذا الهذّ او ذاك من كُتّابها، وانّما تُنسب الى الكتاب.

رسالة

من أحمد عارف إلى جميلة بوحيرد

أنتِ منذ الآن خالدة

لا اعرف عنكِ غير اسمكِ وسنّكِ. أنتِ روحُ الجزائر، وانا من تركيا. ورغم انّنا ابناء مياه مختلفة واراض مختلفة، إلّا انّنا اخوة

ترجمة وتقديم **احمد زكريا**
ومملاك دينيز اوزدمير

على الرغم من العزلة التي فرضها مصطفى كمال أتاتورك على الجمهورية التركية الوليدة، منذ تأسيسها عام 1923، ومحاولاته هو وحزبه من بعده لقطع علاقاتها بالعالم العربي على مدار عقود، إلّا أن أصداء الثورة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي، التي اندلعت عام 1954، وصلت إلى تركيا، التي تضامن عددٌ كبير من كُتّابها مع المناضلين والمناضلات في الجزائر، وعلى رأسهم جميلة بوحيرد.

ومن أبرز الشعراء الأتراك الذين تضامنوا مع الجزائر، الشاعر أحمد عارف، الذي يصادف اليوم، الثالث والعشرون من نيسان/ أبريل، ذكرى ميلاده في ديار بكر عام 1927. وقد كتب الشاعر، الذي ينحدر من أصول كردية، هذه الرسالة للمناضلة الجزائرية جميلة بوحيرد بعدما حُكم عليها بالإعدام عام 1958 من قِبَل الاحتلال الفرنسي، قبل أن يُخفَّف الحكم إلى السجن المؤبد. نُشرت هذه الرسالة ضمن كتاب أصدره الكاتب التركي عوني شويكار في العام نفسه باسم «الجزائر الحُرّة» ويتضمّن العديد من القصائد والرسائل المهداة من بعض الكُتّاب الأتراك إلى «جبهة التحرير الوطني» الجزائرية.

يُعَدّ أحمد عارف من أبرز شعراء الواقعية الاشتراكية في تركيا. وُلد في مدينة ديار بكر، لأب من كركوك وأمّ من ديار بكر، ودرس الفلسفة في «جامعة أنقرة». بدأ كتابة الشعر في منتصف الأربعينيات، وقادته أشعاره إلى السجن أكثر من مرّة، كما مُنعت من النشر بسبب اتّهامه بالشيوعية. يعتمد عارف في قصائده على الموروث الشعبي في الأناضول، وقد نشر أشعاره في مجموعة واحدة، صدرت عام 1968 بعنوان «من الشوق عتّقتُ أغلالي». رحل في أنقرة، عام 1991.

هنا ترجمةٌ لنص الرسالة:

«لا أعرف عنكِ غير اسمكِ وسنّكِ. لم أرَ وجهكِ، ولكنّ لديّ أخبًا في مثل عمرك. أنتِ تشبهينها بالتأكيد، ولا يمكنني أن أتصوّر غير ذلك. أنتِ روحُ الجزائر، وأنا من تركيا. ورغم أنّنا أبناء مياهٍ مختلفة وأراضٍ مختلفة، إلّا أنّنا إخوة.

عندما جلستُ لأكتب هذه الرسالة المليئة، كانوا يجهّزون لإعدامك. أمامك سريّة من كتائب الجبناء الذين يخافون من فهم وحُبّ غالبنا وحَيائنا، ولو حتّى بمقدار لا يتجاوز حجم دودة الأرض. هم كذلك دائمًا. يُحبّون الأسلحة ومطاردة البشر والظلم. مَن هؤلاء؟ من أيّ سلالة ينحدرون؟ سيتوقّف عقلي... ربّما لم يحبّوا في حياتهم طفلًا أو زهرةً أو أغنية، ولو لمرّة واحدة. لم يقدروا على الدخول بشرف في حِضن عاشقةٍ وجَبينهم يتصبب عرقًا. ولم تشعر قلوبهم بالمروءة، واحترام الروح، وحُبّ الدّنيا، ولو للحظة واحدة.

وبلا خجل، يدّعون أنهم يمتثلون للإنجيل الشريف. ومع ذلك، فإنّ أفعالهم ليس لها مكانٌ في أيّ كتاب. لقد اسودّت وجوههم في كلّ العالم، فكيف سيعرفونَ قيمة روحكِ التي هي أقدس ألف مرة من أمامك سريّة. إنها سريّة الموت. لقد خُدعوا بالأموال والأكاذيب وبالخوف القذر.

ولهذا فإنهم وقحون وظلمة...

ذراعا الرقيقتان كذراعي الطفل مكبّلتان خلف ظهرك، لكنّني أعرف أنّكِ لن تقبلي أن يعصبوا عينيكِ.

أمامكَ سَريّة من الجبناءَ الذين يخافون فهم وحُبّ عالَمنا

أتخيّل وقوفكِ منتصبةً أمام فوّهات البنادق. هل سيكون آخرُ كلامك من نشيد نضالك، أم بيت شعر، أم سيكون تحيّةً لأمّكِ وإخوتك؟

أنتِ في التاسعة عشرة. إيّاكِ أن تقولي لم أشبع من شبابي. أنتِ منذ الآن خالدة. فكم مِن الذين إذا عاشوا ألف عام، لن يكون بوسعهم أن يجلبوا الكرامة إلى الحياة مثلما فعلتِ.

في جزائر الغد... في الجزائر المُحرَّرة، سيتعلّم الأطفال في المدارس اسمكِ أوّلًا، قبل أن يتعلّموا الحياة.

صدّقيني، أريدُ أن أكون معكِ، أو أكون مكانك وهم يطلقون النار عليكِ.

الحياة تافهةٌ وبلا معنى، مقارنةً بموتكِ يا جميلة».

أحمد عارف

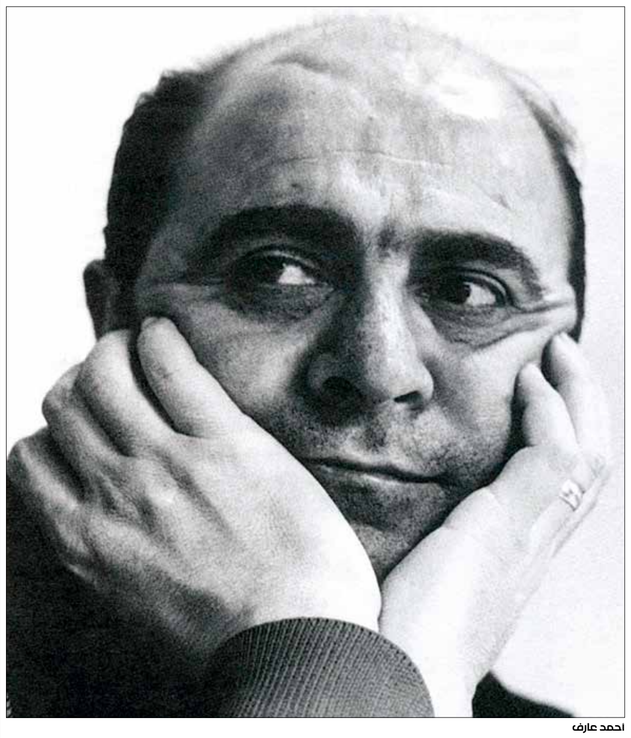

أحمد عارف

إطلالة

من بصيرة الحكاية إلى لعنة التاريخ

الرواية سيرةً لحياتنا

في ثلاثية نجيب محفوظ صورٌ تطابق صور الشباب العرب الذين شاركوا في الثورات، قبل انتكاستها. تكرارٌ يضعنا أمام عظمة الرواية وكارثية الواقع

ممدوح عزام

تبدو ثلاثية نجيب محفوظ كأنما هي «سيرة شخصية» لتاريخ العالم العربي، لا فيما يخصّ الزمان والمكان اللذين كانت تريد أن تؤرّخ للمصير البشري فيهما، أي سنوات الثورة المصرية في العشرينات من القرن الماضي، بل لما تلا ذلك من الزمان حتى يومنا. وأكثر ما في الثلاثية ممّا يمكن أن يسبّب العجَب هو أنّه سوف يكون بوسع قارئها العربي اليوم، أن يستعير جُمَلًا، وعبارات، ومواقف، وكلمات، من كمال عبد الجواد ومن شخصيّاتٍ أخرى في الرواية، للتعبير عن حالنا الراهن. ومعظم ما يقوله كمال عبد الجواد في الثورة والهزيمة قد يردّده كثيرٌ من العرب اليوم، حتى من دون أن يقرؤوا كلامه في الرواية. فكمال عبد الجواد كان مؤمنًا بالشعب وبالثورة وبقائدها، سعد زغلول، ثائرًا ضدّ سلطة الأب، أحمد عبد الجواد، بقدر ثورته ضدّ سُلطة الحكم. وكان يشارك في المظاهرات التي تناهض الاحتلال، وتندّد بالحكم الجائر والاستبداد؛ يخفت صوته الثوري، ويعتريه الشك بالثورة، وبكلّ النظريات التي آمن بها من قبل، حين يموت زغلول، وتنتكس الثورة، ويعود الشعب للخنوع أمام عصا المستبدّ، وينادق المحتلّين. ومعظم الشباب العرب الذين شاركوا في مظاهرات الثورات. وثمّة صور تكاد تتطابق مع صورتهم في ثلاثية محفوظ. كانوا يأملون أن تكون كل الأحداث التي يعيشونها صفحةً جديدة في التاريخ العربي. ولكن، للأسف، لا يحدث هذا. لقد انتكست جميع الثورات العربية، وتراجع المدّ الثوري سريعاً، خلال عقد واحد من السنوات.

واللافتُ أنّ سيرة الثورة والهزيمة تتكرّر في الثلاثية، كما يحدث في الواقع، إذ يأتي جيلٌ آخر غير جيل كمال كي يرث المبادئ الثورية، ولكن ما الذي آل إليه الحال اليوم؟ «قبض الريح»، كما تقول الرواية، وهي العبارة التي أوْلعَت بها الثقافة العربية (المصرية خاصّة) منذ منتصف القرن العشرين. إذ إنها كانت تشير بقوّة إلى الخسارة، بل الخسائر الجسيمة، التي تتكرّر في حياة العرب. بحيث تظهر روايةٌ مثل ثلاثية نجيب محفوظ وكأنّها هي التي تخلق الواقع، لا الواقع هو الذي يملي عليها أحداثها.

هذه واحدة من الخصائص العظيمة للأدب، وربما هي واحدة من تلك الصفات التي تجعل الرواية قابلة للقراءة وإعادة القراءة على الرغم من أنها تحكي عن تاريخ جيلٍ آخر مضى، وانتهت حكايته، أو هكذا يمكن أن نُفكّر في التاريخ.

ما قصّة التاريخ العربي الحديث؟ ما حكاية العرب في القرن العشرين وفي القرن الواحد والعشرين؟ لماذا تتكرّر الثلاثية؟ أي لماذا تتكرّر محاولات الثورة، وانتكاساتها، بحيث يبدو كلام كمال عبد الجواد عن الهزيمة راهناً؟ إذا كنّا نمدح الرواية التي تستطيع أن تتجاوز تاريخ أحداثها، وتكون قابلة للتعميم على التاريخ المستقبلي، فإننا نلعن التاريخ الذي يتكرّر بحيث يسمح لمثل هذه الكتابة أن تتطابق معه. ذلك أنّ سيرة الثلاثية تشبه سيرة حياتنا، وهذا مصدر تعاستنا وأوضاعنا المزرية. وهكذا يكون تكرارُ التطابق بيننا وبين أحداث روايةٍ مثل ثلاثية محفوظ، مريبةً تُثبت أننا أمام فنّ روائي عظيم... غير أنه كارثةٌ في الواقع.

(روائي من سورية)

في ثلاثية نجيب محفوظ تشبه سيرة حياتنا، وهذا مصدر تعاستنا

عمل لـ محمد عبلة، 1995

فعاليات

حتى نهاية الشهر الجاري، يتواصل معرض **فوضى** للفنان السوري **عادل داوود**، الذي افتُتح منتصف الشهر الماضي في «غاليري ارتي كونت» بفيينا. يضمّ المعرض أعمالاً تشكّل الفضاءاتُ اللونية الشاسعة بؤرتها الأساسية كمحاكاة لمشهد مفتوح تم التقاطه من علٍ، وتبدو بقية العناصر البشرية والمسْخية سابحة فيه.

تتواصل فعاليات الدورة الأولى من **المعرض الافتراضي للكتاب الجامعي** في الرباط حتى مساء الثلاثاء المقبل، حيث افتُتحت في العشرين من الشهر الجاري. يتضمّن المعرض أكثر من ألف عنوان أكاديمي جديد ومِلكة مجلة إلكترونية جامعية، ويتيح روابط المكتبة الرقمية لوزارة التعليم العالي، إلى جانب محاضرات افتراضية لعدد من الباحثين، مثل **إدغار موران** و**احمد بوكوس**.

الفلسفة الأخلاقية، عنوان نقاش افتراضي يُعقد عند الثانية من بعد ظهر الأربعاء المقبل، بتنظيم من **مركز مناظرات قطر** بالدوحة. يناقش المشاركون الأطر الأخلاقية لصنع القرار، ومفهوم الالتزامات الأخلاقية، والاستبطان في المشاعر، وكيفية تفاعل البشر معها، ومفهوم/ي الإرادة الحرّة والفاعلية.

يتيح **قطاع الفنون التشكيلية في القاهرة**، على منصّته الإلكترونية، معرضاً للفنان التشكيلي المصري **تيسير حامد** (1955)، باستخدام تقنية 360 درجة. يضمّ المعرض سبعاً وثلاثين لوحة تتضمّن مقاربات سواء لتكوينات معمارية أو لمناظر مستمَدّة من الطبيعة، بنوع من المبالغة الحسّية في اللون وإيقاعاته.